آيدولوجيا الجسد تحولات الشخصية بين انكسار الذات وتخطي التابو قراءة في رواية (قفل قلبي) لتحسين كرمياني

د. سامان جليل إبراهيم محمد
جامعة كرميان- كوردستان- العراق -

الملخَّص:

يدرس هذا البحث آيدولوجيا الجسد من خلال تحولات الشخصية عبر لقطات مشهدية ، ويكشف عن البناء الاجتماعي – الآيديولوجي– للشخصية ومدى تغلغله فيها، كما يعدّ الجسدُ ركيزةً أساسيةً يتمركز حوله كل مكونات السرد، بعدِّه النواة السردية الدلالية الكبرى المنتج لتوليفات سردية تتعالق فيما بينها عضوياً، ويتحوَّل الجسدُ في الرواية إلى رمز ذي بعد آيدولوجي كبير، يطرح رؤية الكاتب حول قضايا اجتماعية مختلفة في ظل كسر التابوهات، وتخطي المحرمات ممَّا يعدُّ خرقاً، هذا فضلاً عن عمله الخصب الذي يبدو فيه الجسد راغباً في تعرية العالم وتفكيك المنظومة الاجتماعية من خلال قدرته المضمرة والمعلنة.

Abstract

This research studies the ideology of the body through a personal transformation through the footage of her scenes, and reveals the social construction and its extent of penetration, the body considered as fundamental pillar which upholds every narrative components, considering it as the great core narrative significance producing combinations narrative in harmony with each other organically, and turns the body in the novel to a symbol for a great ideological dimension, shows the vision of the writer on various social issues in light of breaking prohibitions and overcome taboos, which is a violation, as well as its good work in which the body seems willing to expose the world and the dismantling of the social system through its implied and stated ability.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

المقدمة :

تعدَّ رواية (قفل قلبي) للروائي تحسين كرمياني واحدة من أهم الروايات التي تعالج حالة اجتماعية حسَّاسة بأسلوب وطريقة عرض تميَّزت بكونها جريئة، واتصافها بالواقعية في عرض الأحداث، إذ تدور أحداث الرواية عن قصة شاب اسمه (حامد) يلتقي بفتاة من أسرة فقيرة، وما يكابداه من معاناة نفسية صعبة تؤدي بهما إلى إنهاء حياتهما، فالفتاة تتزوج من رجل فاحش الثراء، فعلى الرغم من أنَّها يجب أن تسعد؛ لكونها من أسرة متعففة إلاَّ أنَّ القدر يخبِّئ لها ما لم تتوقعه، فالرجل الثري لا يستطيع أن يلبي رغبتها الجنسية، لكونه فقد فحولته نتيجة جرم ارتكبه وخيانة قام بها مع زوجة آمره، الذي بدوره حقنه بحقنة تسببت بفقده رجولته، ممَّا حدا بالفتاة (هي) من البحث عمَّا يعوض عنها النقص، فالتقت بشاب جميل اسمه (حامد)، وتتحرش به وتجمعهما علاقة حب، فيقع بينهما عشق صارم، وهوس كبير بالجنس، فتحمل منه الفتاة، لكنها تموت في ظروف غامضة يكشف عنها الروائي في خضم أحداث الرواية وتشابكه ، ويترتب على هذا تأزم الحالة النفسية التي يعيشها حامد، والتي تؤدي بعد ذلك إلى أن يكابد ما يكابده من صراعات وأزمات نفسية أكثر من كونها جسدية، فالشاب يعيش في أسرة متفككة؛ ذلك أنَّه يكتشف أنَّ التي كان يعتقد بأنَّها أُمُّه اعترفت له بعد وفاة والده إنَّها ليست بأُمِّه الحقيقية، بل هي غجرية غرَّرت بوالده ليتزوجها، وممَّا يجعل أحداث الرواية متشابكة أكثر أنَّ الغجرية تحاول الاقتراب من حامد لتظفر به، وتستغل حقيقة موت الفتاة (هي)، فتفاوض حامد أن تخبره حقيقة موت حبيبته على أن يمارس معها الجنس، ومن هنا نجد أنَّ حامد يتحوَّل إلى رجل شغوف بالجنس، متسمٌّ بالشذوذ الجنسي عبر العلاقات المقامة مع عدد من النساء منهنَّ (بدرية الحفافة)، وعدد من الفتيات التي تجلبهنَّ له هذه الإمرأة ، واللاتي يحملن منه كلُّهن إلا الحفافة لكبر سنها.

ونجد أنَ أحداث الرواية تسير نحو التأزم، ذلك أنَّ حامد جرَّاء الممارسات الجنسية الشاذة يمرض وتسوء حالته الصحية، فيفقد فحولته من دون أن يعلم في المستشفى، ويتعرف على فتاة من طبقة فقيرة (بنت الفلاح)، ويتزوجها لكنه لا يستطيع أخذها ويدرك أنَّه لا يمتلك

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

ما يمتلكه الرجال أيضاً، وتسوء حالة الشاب وينتكس فيقرر الانتحار وترك الحياة بعد أن يترك حزمه أوراق اعترافية يسرد من خلالها كل شيء عن حياته للطبيب الذي كان يعالجه.

وكان علي آنذاك أن أختار منهجاً يمكنني من خلاله البحث ، وقد رأيت أن الأوفق اختيار "التحليل الثقافي" مستفيداً من طروحات النقد الثقافي، وبهذا افترضت طبيعة الدراسة تقسيم البحث إلى أربعة مباحث عرضت في الأول: حامد والانكسار الأول المتمثل بشخصية (هي)، أمَّا المبحث الثاني فجاء عن:حامد والانكسار الثاني والمتمثل بالأم الغجرية ،وفي المبحث الثالث عرضت الانكسار الثالث في حياة حامد والمتمثل بشخصية بدرية الحفافة ،جاعلاً ختام ذلك حامد وحاجز الانكسار والمتمثلة ببنت الفلاح وهو ما تناوله المبحث الرابع ،ثم اتبعتها بخاتمة تضمنت نتائج البحث وقائمة بأهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول: حامد والانكسار الأول.

إنَّ آيدولوجيا الجسد مستشرفة على خلايا النص وما ينبيء به تلميحاً لتلك الارهاصات النفسية التي مثلت عالماً وتجربة فريدة ، قادرة على المنح والاكتشاف والتأويل، إذ يغدو الجسد بأنَّه لا رقابة عليه وفي ظله يرى العالم ، ويتحسسه ويتعرف على أبعاده «بل إنَّ حضور الحياة مرهون بحضوره هو والقدرة على إدراكه، وبقدرته على التعامل مع معطيات الواقع، والذات عنده تتخذ الجسد وسيلةً للاكتشاف والتحقق، وأداةً لتفسير علاقاتها وحركاتها، تخلق عالماً يمور بالمتناقضات، لا تقبله ولا ترفضه»[1]، ولهذا فإنَّ الشاب الشقي (حامد) يتجاوز معايير العقل والمنطق على معنى، ويحاول أيضا اكتشاف عالمه من خلال هذا التحرك المعبأ بطاقة الاصطدام والتجاوز، فيستطيع أن «يجعل لحظة الصدام لحظة حياة، ولابد من معايشتها بالرفض أو القبول، تلبس عنده تهويم إشرافي إلى عالم الحلم؛ لأنَّه متشبع بواقعه إلى مرحلة التخمر، وهي مرحلة قد تؤدي إلى النضج، كما يمكن أن تؤدي إلى الفساد والتحلل»[2]، لذا تعمل هذه الرواية عبر تحولات الشخصية على تفكيك منظومة العرف الاجتماعي، وإعادة ترتيبها وتنظيمها على وفق رؤى جديدة يجترحها النص، ويعد الجسد هو الأكثر فاعلية في تحريك عصا السرد، وهو المحور الذي تدور حوله الأحداث والشخصيات الروائية، مشكلاً

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

الثيمة الأكثر بروزاً على مساحة النص المتخيل، وهكذا الأحداث تتفاعل نفسياً من خلال اشتباك الذات في جدلية حادة مع الجسد بوصفه موضوعاً لها، ويشير إلى تحولاتها ومكوناتها الداخلية، ومن هنا تعلن الرواية عن حركة الذات الدؤوبة والجسد المتوقد في آن واحد، كما يجعله عملاً خصباً يبدو فيه الجسد راغباً في تعرية العالم من خلال قدرته في الارتقاء والتوقد والتكوين، ولذلك يحاول الجسد (حامد) أن يتعرى التعرية الكاملة بوصفها وسيلة لاكتشاف العالم وقراءة خاصة للكون من أجل اختراقه وتجاوزه عن طريق « تجاوز الطبقات الرسوبية الزائفة وبلوغ الجوهر العميق، وتسكينه في الوعي تمهيداً لتفجيره والخلاص منه... ولولا هذا العري الكثيف ما تمكنت الشعرية من بلوغ مستهدفاتها المضمرة التي تسعى إلى التدمير تمهيداً إلى التكوين»[3].

وغير بعيد عن تلك الألفاظ والتراكيب داخل الرواية التي تُحسِّسنا بالدهشة الشعرية التي تجوس في خبايا عالم الجسد في النص بألفاظ تكون تارة مكشوفة، وتارة أُخرى محجبة مواربة فيكون الارتحال في الجسد ومحاولة القبض على مكامن السر فيه ديدن الكاتب وهمه الشاغل، ولهذا نجده لا يهتم ببناء الشخصية إلا على وفق هذا المنظور، فالشخصية في الرواية أداة لصراع نفسي وُلِدَ من قبل الجسد وتحريك عجلة الأحداث وهي في معظمه لا تمتلك أسماء معينة بل ترد بَصفاتها وألقابها غالباً، لذا فإنَّ تهميش الشخصية على مدار الرواية والتركيز على الجسد لم يكن اعتباطاً؛ لأنَّه هناك مجاعة غريزية أحرقت اللواعج لدى الشخصيات لاسيما الولد الشقي (حامد)، لذلك يتم التعبير عنها من قبل الراوي«بجوع الجسد للجسد بصورة أكثر درامية ليكتمل فيها الوعي بلغة القص باعتبارها لغة قادرة على إثارة تداعيات الفعل لا الرمز»[4].

ولا شك بأنَّ حضور الجسد في رواية (قفل قلبي) كان قوياً، إذ ظلت طوال الوقت ملتبسة بصورة الذات، ولهذا فالجسد بمثابة بوح نفسي كما هو الحال عند الشاب الشقي والشابة الصغيرة (هي) التي هيمنت على مدار النص الروائي الطويل، وأخذت منه الحصة الأكبر فهي أيقونته الإيروسية التي كانت تؤجِّج فيه الإرهاصات النفسية، والصبوات الجنسية التي يحقق بواسطتها ذروة شهوته الجسدية وترويحه النفسي، فالرواية تتخذ من بكارة الجسد

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

وطزاجته موضوعاً لها ليصل الافتتان والتشبب إلى درجة من الهوس أو الشبق الجمالي الذي تفتح معه الحواس، هذا فضلاً عن أنَّ الجسد وسيلة من وسائل انكسار الذات الذي يعاني منه نتيجة المنظومة الاجتماعية محاولاً تجاوزها، وهذا ما صرحت بها الرواية في قول السارد :«منذ فترة أشعر أنَّني غريب عن هذا العالم وجدت نفسي طانعاً استجيب لهواجس تضج في ، مقلقة ... حاولت بعزلتي إيجاد منفذ للخلاص من كوابيس لا تتركني ....، وقد نفذ صبري وجدت إصرارك يدفعني تحطيم (قفل قلبي) كما قلت لي ذات مرة»[5]، لذا ومن عتبة العنوان ينتمي النص الروائي الذي أمامنا إلى الروايات التي تنبش في تمفصلات الذات المأزومة نفسياً تحت دائرة العادات باحثاً عن سر اللعنة الراسخة الذي في الأعماق، وهي رواية في غالبيتها تنزع إلى تشريح الذات في جانب معين من خصوصيتها تماماً كما تفعل السير الذاتية.

انطلاقاً من هذه الفلسفة النفسية يكتظ هذا النص الروائي بعدد كبير من الشخصيات التي حاولت أن تكسر الذات وتخطّي التابو، من خلال آيدولوجية الجسد لدى المهيمنات النسائية على النص بشكل عام، والولد الشقي (حامد) الذي يعتقد أنَّه يمارس السفاح، أو ما يسمى الزنا بالمحرمات بشكل خاص، ومن هنا تُجسد الدراسة الانكسارات الذاتية التي استشفتها قراءتنا على مدار النص، ومهمة القراءة تكمن في اكتشاف هذه التخطيات للتابو، ومع ما رافقها من التوترات النفسية التي يشع بها النص من مختلف جوانبه، واستشفاف المكامن فيه، والدخول إلى بنيته بوصفه مجموعة من الأطر المتشابكة سواء أكان ذلك في التضاد أم في التعارض أم التجانس، وبوصفه مجموعة الكلمات والجمل والعبارات التي يمكن الوقوف على ما بها من عناصر النص في إطار نفسي واجتماعي فتكون «القراءة علامة لحضور الفكر وخاصيته الأولى، وهويته في تفاعله وتعامله مع ما يقرأ في صيغة النص»[6]ومثل هذه القراءة تكمن في قوله: «هي ليست أكذوبة زمن داعر، واحدة عادية في زمن ردي ، (هي).. بركان لا يتكرر، طوفان لا يحدث إلا بسقوط الحضارة أو ميلادها، منذ تلاقحت العيون، تناسقت ضربات القلبين،كادت روحي تنخلع تفر»[7].

يبوح النص الذي أمامنا منذ الوهلة الأولى بصراع نفسي لدى الولد الشقي تجاه شخصية (هي) التي أحرقت المضاجع من خلال اجتذاب ذات الشاب إلى ذاتها وانكسارها، الأمر

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

الذي أدَّى به إلى الإيراق، وكسر السكون الخاص بمنظومة العرف الاجتماعي، لذلك تتجه هذه المكونات النفسية الدافقة إلى قطب استلاب ذات المعشوق الذي تمدد في ذاتها المعشوقة، وتبدو المعشوقة (هي) عنصر جذب وقدرة على حصار عالم الفتى (حامد)، وكأنّ العالم مهيأ لفاعليتهما المتحركة من صمت وعتمة إلى ضجيج وضوء وامتلاء من خلال فاعلية الجسد «يا فارس المنتخب .. تعال وارتمِ في فيئي ...كلما تثار زوابع روحك»[8].

هنا في هذا المشهد تتأزم فاعلية الذات بين الشخصيتين المعشوقتين من خلال عنصر الجسد الرابط بين الذاتين والمريح لنفسيتين أحرقت الغرائز لواعجهما، وتوقدت في أرجائهما نار الحضور الفذ، والرغبة في تحقيق ما يصبوان إليه ، فتعلن الرواية عن اقتراب جسد الشاب من جسدها ، ودخولهما مرحلة الاحتكاك، ووصولهما إلى الرغبة النفسية، وتبدأ أول مرحلة في حركة الجسد وانتقاله من الجسدي إلى الجسد ثم الجسدانية حتى يؤكد حضور الحالة التي بها يدرك العالم وهو في أسمى حركتيه وتعشقه وتساميه:« في خلوتنا الأولى ...كنت مأخوذاً لحظة ابقتني جسداً مخدراً تحت مشارط عملياتها المسكرة ..تأوهت :

– هيا..هيا.. لا تخجل.

– لا اعرف.

...

دفعتني، اعتلت برج سعادتها، ... ارتج العالم فجأة ، وجدت نفسي أتشظى، أحلق في غمر ونور، كانت لعبة غير مكلفة يا صحبي، لقد انكسر الغصن الذهبي ... تمنيت أن تكون الحياة ليلة أبدية ... هي الطفولة والكهولة، مختصر مفيد هي المهد واللحد ... في خجلي الأول باغتني :

– أريد بوضوح..

– لا اعرف ما تقولين.

– يعني ..يعني ...

– أرجوك.. أنا أخجل»[9] .

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

هذه الأبعاد النفسية بانكساراتها الذاتية تتجلى من خلال الحوار الذي يستكمل الدلالة الكلية للسرد بين ذاتين، ذات سقطت في هاوية الغرائز (هي)، وذات مترددة بين انكسارها لهذه الغريزة أو ابتعاده عنها (حامد)، إلّا أنَّه يستسلم لحركية الفتاة التي استطاعت أن تنتهك الصمت والخوف العرفي، ويقتنص حضوراً شبقيا ًيشتهيه الشاب الرافض والراغب في آن، لا سيما أنَّ الولد الشقي يمتلك جسداً امتلاكاً يقود إلى التوحد والامتلاء والتكوين، فتعيش الذات الذكورية حالة من التمزق النفسي والحيرة رغبة في التحقيق، فضلاً عن هذا نجد أنَّ الجسد هو المتلقي من خلال الحوار الذي خلق جدلاً وصراعاً نفسياً كبيراً بين الرغبة وسعير الشهوة من ناحية، وقيم المنظومة العرفية من ناحية أخرى، وهذه الفاعلية للجسد «(تجعل السرد حيوياً، ويمده بتلك الصورة المتعددة الأبعاد، المحتملة الدلالة، خاصة إذا كانت الكتابة على نحو خاص، ليست محايدة أو باردة، بل مرآة بلورية صقيلة، تجلو خوالج ومنازع صاحبها، وتعكس بصمته وهويته ونبض روحه وجسده من حيث احتسب أو لم يحتسب»[(10)]، وبما أنَّ للجسد هذه الحركة الحيوية نجده يقوم بدور آلة التحقق الكبرى التي تؤكد الحضور بفاعلية في كسر الذات المحافظة، إذ تكشف عن الانتظار: انتظار الذات (الشاب) التي تحقق الامتلاء:«كنت أحمل كتبي وأخرج ،أتجول أينما تقوداني قدماي، باغتني صوتها، وقفت كي أتأكد من صحة النداء :

– أين أنت ... قلبت الدنيا عليك.

– إياك أن تعذبني.

– أأأأأأأأأ..أأأأأنا,

– ماذا تريدين؟

– تعال ..فقط..تعال .

– إنَّني ..أخافُ .

– عيب أن تقول مثل هذا الكلام .

أنت ..(قاطعتني).

– أنا ملك نفسي .أنا لك ..هل تفهم كلامي ؟

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

– صاحت صيحتها الصهيلية ، أجهشت بالبكاء ، وجدت الرغبة تلح ، الوقوف معها ، إنقاذها من أية مشكلة ستواجهها ، حتى لو تطلب راحتها محاربة العالم بأسره ..

– جئتَ من أجلك .

– وأنا خرجتَ أيضاً لرؤيتكَ.

فرحت، قيل أن أتمكن مَن ستر كذبتي ، لك أن تصدق ذلك أم تفند ...»[11].

نلتمس من خلال هذا المشهد السردي امتزاجاً حضورياً في ما بين الشاب (حامد) والفتاة (هي)، هذا الحضور القائم على الوعي والإدراك والإنجاب إذ البنية التركيبية في الاستفهام (أين أنت قلبت الدنيا عليك) تكشف حالة التشوق الذي يصل حد الغياب، في الوقت الذي يتجاوز فيه الجسد الأنثوي حركة الزمن، ويكشف فاعلية ايجابية يحققها الانتظار المتوقد للتكوين (أنا لك ..هل تفهم كلامي)، فضلاً عن هذا الصراع الذي سببه الغريزة الجنسية لشخصية (هي) التي تعاني منها معاناة جسدية كبيرة ولابد من إطفاء حرقتها الأنثوية تجاه الولد الشقي، إذ نجد طبيعة الذات في بعض الروايات ذاتاً مراوغة بمعنى أنَّها «تستعلي أحياناً، وتتدنى أحياناً أخرى، تميل إلى الانغلاق أحياناً، والافتتاح أحياناً أخرى، وتسعى للخلاص أحياناً، وتستلم أحياناً أخرى »[12]، ولهذا فإنَّ الذات عند(حامد) تتحرك في اتجاه الانهيار والانهزام والرفض ولا ترى في عالمه إلّا الخراب والخوار، ومثل هذا الانهيار نجده أيضاً لدى (هي)، فتعاني الذات لديها حيرة مضنية وتواجه الضياع فتكشف عن مروق جديد يمارسه الجسد والأعضاء في ظل التردي والانهيار، وتعلن عذابات الأعضاء وأنينها وقدرتها على استيعاب الفاعل:

«كان يسمعني كلمة (أحبك) هذه الحالة استمرت لعدة مرات ...

– آه ..لا تزيدني عذاباً.

– ما العمل كنت صغيرة، كسروا رقبتي بخدمة ضابط كبير ميسور»[13] .

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

المبحث الثاني: حامد والانكسار الثاني.

إنَّ النص الروائي والمشهد يهيئان للقارئ تصوراً لا يمكن انكاره أو تجاهله ولا سيما ما يتعلق بانكسار الذات الذي يتمثل بالأم الغجرية التي كشفت للشاب بأنَّها ليست أمه الحقيقية ممَّا زاد في المعاناة النفسية ، وهذا ما جعل الشاب يعيش حالة انكسار لن تجد له مخرجاً، ولعل هذا الانكسار من أشدِّ حالات الانكسار ما ينتهي صاحبه إلى العزلة والإحساس بالتمرد والرفض والانسحاب والخضوع، لاسيما الأم الغجرية التي اعترفت بالحقيقة بعد وفاة والد الشاب:« سأقول لك بلا لف ودوران، الآن طبعاً، مضى زمن ليس بالقليل على ذهاب سطوة المفاجأة، لقد عرفت من (الأم) إنَّها كانت(غجرية)ملقاة على أرصفة المتشردين...عشقها السيد الوالد الحنون... بتأوهاتها الشهرزادية، اسقطته في بشرها العسلي ... أمَّا أنا فكنت الضحية، كون أمي الحقيقية ألقتني في سفينة رحيل ابي»[14]، وهكذا تستمر الرواية بحقيقة هذا الأمر فما على الأم الغجرية إلا أن « قالت:

– أنا لست أمك .

خلتها تكذب، تريد تفعيل غيرتي، تريد أن تجرب إرادتي، اكتفيت بنظرة إشفاق، لم أرغب في أن أتكلم، واصلت هي كلامها لإقناعي :

– أنتَ ابن أمك التي هجرت أباك بسببي.

– أنتَ في الواقع ، يجب أن تعرف الحقيقة ،آن آوان كشفها .

–أية حقيقة ،بعدما وقع الإثم .

– أنا .. لست أمك ..أنا زوجة أبيك»[15] .

يستشف من النص عمق المعاناة الذاتية لدى (حامد) بعد أن عَلِمَ حقيقة الأم الغجرية وأفعالها تجاه الأب العطوف الذي عُرِفَ بحنانه وعطفه ورحمته، فكل هذا انتاب القلق المستمر إزاء هذه الحقيقة، ممَّا اكتنز بأحاسيس التوجس والقلق النفسي إلى تلبد سحب الهم في وجدان الشاب، لذلك نجد « البعد النفسي للشخصية الروائية يبين نظرتها إلى ذاتها وإلى الآخرين، ويؤطر في الوقت نفسه طبيعتها ونوازعها، إنَّ اتزان أطراف هذا البعد يعد وسيلة مهمة لصياغة الشخصية المفعمة بالحياة، وكلما أحسَّت الشخصية بهويتها الذاتية، تزداد رسوخاً في

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

أحداث الرواية»[16]، فضلاً عن هذا نجد الأم الغجرية لم تكتف بهذا بل عشقت الشاب وتعلقت به، الأمر الذي أدى إلى ممارسة الشذوذ الجنسي معها أيضاً ممَّا خلّف ذلك انكساراً ذاتياً جديدًا لشخصية حامد على مدار الرواية : « وجدت الصمت والمراوغة لا تنفعاني، تقدمت منها ، واقفة كانت (الأم) حائرة ... راحت تداعب الشعر النابت بعد تلك الحلاقة العسكرية البغيضة ، معاً تقدمنا نحو السرير»[17].

يصف الراوي في هذه البنية الروائية تواصل الشاب لإدراكه الحاد في اكتشاف فاعلية الذات عن طريق الجسد، أن تخرج (الأم) الغجرية من الوعي بوصفه إدراكاً للوجود إلى الاحتكاك الجسدي، فالجسد هو حامل الذات وكل منهما يوجدان في المجتمع و« حضور الذات في العالم هو حضور لأجساد في العلم أثناء عملية التفاعل ويصاحبه من انجازات للذات في تفاعلها مع العالم، أو فشل ينتج عنه الوصمة الجسدية أو الخجل أو الشعور بالإحراج ... الأمور التي تقلق الذات في حضورها في العالم »[18] ولذلك نجد قدرات الولد الشقي– الشاب– على التحلق في سماء الملذات وكسر طوق الذات هي اعترافه الذي يفيضه جسده الذي يتيه عشقاً، ويمكنه اكتشاف العالم، هذا الجسد الذي يملك القدرة على صياغة عالمه وكسر التابو بحثاً عن الحرية، وخيانة كل ما يقف عائقاً في طريقه « هكذا تمتلك هذه الكتابة الحرية المطلقة ...،ويتجاوز أي تابو يقف أمامها ، الأمر الذي يؤدي إلى حالة معاكسة من ضياع الحرية بسبب صعوبة اصطياد المناسب ممَّا يمكن الأديب أن يتداوله جمالياً من هذا الشيوع وما يتطلبه ذلك من حس فني قادر ضمن هذا التنوع الشديد على الاختيار»[19]، وبهذا يرى كمال أبو ديب أنَّ النص والجسد وجهان لعملة واحدة كل منهما يخضع لفعل حركي طاغ متأجج، فيؤكد أنَّه مع«تنامي حركة القمع والسلطة الطاغية يتحول النص إلى نص جنسي جسدي، يتحول إلى المجال الذي تنصب عليه طاقة الأديب وعنفه وبحثه وطموحاته وخيبته واحباطاته ، صار جسداً, وصار هذا الجسد نسيجاً محترفاً ،رمزياً ومادياً، بفعل جنسي طاغ، وصار النص نصاً مفتوحاً »[20].

في مقابل هذا يمكن للقارئ أن يرصد زخماً كبيراً من الانكسارات الذاتية وتخطيات للتابو فيما بين الشاب والأم الغجرية، والمتأمل في هذه الرواية يرى إنَّ أنواعاً عدة من

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

الممارسات الجسدية تمثل سلسلة غرائزية جاءت على مدار الرواية ولهذا سرد لنا الراوي منها: « النشاط الليلي السري ، هدّ بنيان كياني، أرخى حبل الحماسة القروية في روحي ، أورثني شيئاً فشيئاً الخجل المفاجئ رغم تواجدي في ذروة الاستمتاع الذهني والهذياني , باغتتني (الأم) ،قبيل الفجر بقليل، لا أعرف هل كانت حاضرة من لحظة البدء بالنشاط الشاذ أم جاءت استجابة لتأوهات فوق العادة ندّت منّي ، تجمدت أوصالي ...

قالت :

– أليست الأنثى أشهى وأطيب من هذه الوسادة ..»[21] .

فهذه اللقطة الحوارية التي تحمل انكساراً ذاتياً وغيرها من اللقطات على مدار الرواية تبين لنا وبكل وضوح إنَّ الرواية تتركز على حادثة مركزية رئيسة تدور حولها الحوادث الصغيرة بجميع مكوناته وهو أنَّ الجنس الشاذ والمحرم السائد على مساحة النص، والشاب هو المحور المحرك الذي تدور حوله كل أو معظم الأفعال الشاذة، وعلى الرغم من أنَّه يبحث عن المحرمات ويتوق لممارستها، لكنه يبدو سئماً من وضعه فيقول : «لا أعرف لِمَ دروب الشر سالكة أمامي»[22].

مما لا شكّ فيه أنّ التوترات الموجعة في وجدان الشاب تجاه الملذات الشهوانية لا تمنعه من كبح جماح نفسه المهووسة بالجنس والرغبة؛ لأنَّ الجسد الإنساني يتحول إلى فضاء ينغلق وينفتح بحسب الأحاسيس المنخفضة والمرتفعة للنفس، إذ إنَّ المنظور الذي تتخذه الشخصية هو الذي يحدد أبعاد الفضاء الروائي[23]، فانكسار الذات هو المسيطر على بنية الرواية، فتوجه العالم عبر الجسد وهو في هذه الحالة« الحاضر – الغائب، إنَّه في آن واحد محور إدراج الإنسان في نسيج العالم»[24]، لذا استطاع الراوي سرد فاعلية الجسد عبر الآيقونة الآيروسية:« أنهضتني، قادتني، بعدما فقدت صلتي بالأشياء ، فقدت وعيي تماماً، لا أعرف كيف مشيت ... بعد سيل الماء بارد، وجدت وعيي يسترد عافيته ... بدأت رقصتها الأثيرة، استدارت حولي، بدأ الرنين يتفاقم، بدأ الجسد يتفاعل، تلك هي نقطة ضعفي ... ومضيت في موجٍ ساحر اندمج ..

– لِمَ انت مختلف اليوم ؟

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

– لا أعرف ، ربما سئمت المدن الرثة.

– ماذا تعني يا ولد ؟

– المدينة الثانية هي من تلهب حماستي .

– لكَ ما تريد.

– لم تبكين؟

– مثل هذا الموقف مررت به .

– كيف ومتى ؟

– يوم أدخلني أبوك إلى البيت ...

– هو أيضاً كان يرغب المدينة الثانية كما ترغب أنت ..»[25] .

يبلغ الذات هنا أعلى مراحل انكساره في بنيته الروائية المفعمة بحرارة النشوة الجسدية، وهذا يكمن من خلال المشهدية الواضحة في فاعلية الخطاب بين الشاب والأم الغجرية، يزاد إليه أنَّ تفكيك شفرات الخطاب يعكس ذلك الكبت الجنسي والحرمان الذي تعيشه الذات، وعطش الذكورة من خلال تتبعها الأم الغجرية حتى الأماكن الحميمة (يوم أدخلني أبوك إلى البيت ...)، وبهذا تأتي رواية (قفل قلبي) لتثبيت دلالة انكسار وانشراخ الذات أمام هيمنة المجتمع؛ وبالتالي فرضت الذات حضورها من خلال امتزاجها بالجسم وهذا ما يشير إلى توقد عالم الشاب عبر (المدينة الثانية هي من تلهب حماستي)، وتعرفه على العالم عن طريق جسمه الحي القادر على الإدراك والتأمل والاشتباك بمعطيات العالم، وإذا كان الشاب قد استطاع من قبل أن يكتب تواريخ جسده ويراقب تحولاته وتطوحاته فإنَّه يطرح عالم الجسم متوجاً بالغريزة الجسدية ونار الرغبة وسطوة الجنس، ولذا يتماهى الجسم مع واقع الشاب إذ يسود الجذب كلاً منهما، وتحتك الذات بالجفاف والذبول، ومحاولة الخروج من أسر التدمير النفسي، رغبة في التواصل مع الحياة فيقع الاشتغال على الذات نفسها بإضافتها إلى موضوعها (جسمي) الذي يتبنى التماهي مع الواقع، ومن هنا « أصبحت ذاتية الفرد تمر عبر وعيه بجسده وعبر التأكيد على تفرده وعزلته»[26]، هكذا يمكننا أن نلاحظ الفضاء الروائي في رواية (قفل قلبي) فضاء متأزِّم ومنغلق غالباً، إذ تجري الأحداث وتتحرك الشخصيات فاقدة

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

إرادتها، أمام جبروت الواقع وضغطه المستمر، وكان القدر وحده المسؤول عن حركتها وتصرفاتها، وخصوصاً شخصية الشاب (حامد) الذي يبدو وكأنَّه يمشي مخدراً، وهو على الرغم من كونه يسعى أحياناً لتصحيح أخطائه، إلّا أنَّنا نجده ينجرف أكثر نحو الخطيئة وبؤر الفساد التي تتهيأ له وتنفتح أبوابها أمامه ببساطة، كفعل قدَريَّ يسلبه إرادته.

المبحث الثالث: حامد والانكسار الثالث.

لم تقف الانكسارات الذاتية في جملة مظاهرها عند الشخصيتين الأنثويتين اللتين تم ذكرهما في المبحثين السابقين، بل تطالعنا شخصيات أخرى لها انكسارها في الرواية والمتمثلة بالحفافة (بدرية)، وبهذا يبدو لنا أنَّ الشخصية الأنثوية عند الكاتب لم تتم عبر الوعي المطلق بالأنثى، وإنَّما عبر وعيه الخاص، وهذا يعني أنَّنا التقينا وسنلتقي بنوع أو أنواع محددة من أنماط شخصيات الأنثى، أي أنَّها وُظفت قصدياً لحمل آيدولوجيا الكتابة عند الكاتب بحسب قراءته لخارطة الأنثى الذهنية والعاطفية، وإذا سلمنا بذلك، فإنَّنا نرى أنَّ الصورة بدأت تتضح من خلال مجموعة من المهيمنات والانكسارات الذاتية خلف الألفاظ والتراكيب اللغوية للرواية داخل النص الذي هو خير وسيلة معنية باستقصاء الخطابات الروائية ذات الأبعاد الغرائزية، وعبر انكسار الذات شغلت الرواية بقضية الجسد وإنجاز خطابها السردي من خلال لغته الشعرية المكثفة ونمط العلاقات التي تحكمت في عناصره الفنية، لاسيما الشخوص والفضاء الزمكاني، نحو تأسيس مدونة سردية تهيمن عليها ثقافية المدلولات، ترتكز في بناء معناها وطرح أفكارها على التمثيل الجسدي داخل المتخيل السردي.

ولقد أولت الإبداعات السردية الحديثة اهتماماً كبيراً بموضع الجسد، بعد أن كان شبه مهمش لاعتبارات سيسيولوجية، غير أنَّ الجسد لم يعد مجرد تابوت يحوي الميت، بل طبيعة متحركة تعلن عن موقف معين، ومن هنا عدّ قطباً رئيساً للاهتمامات المعاصرة، ومرجعاً ضرورياً لكل محاولة تروم فهم الوضع الإنساني بأبعاده المختلفة [27]؛لذلك عمدت رواية (قفل قلبي) إلى استثمار موضع الجسد وفق رؤى متباينة يختلف من مبدع إلى آخر، فقد حاول الكاتب عبر المتخيل السردي أن يعيد للجسد أهميته ودوره بسلبيته وايجابيته، ويكشف عن فاعليته

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

بوصفه هوية ثقافية ملغزة، ولم يكن الكاتب (تحسين كرمياني) بدعاً من ذلك، فقد أراد أن يؤسِّس خطاباً آيدولوجياً للجسد مخالفاً لما هو موجود، تقوم بنيات الرواية ببثه للمتلقي، وبهذا يطرح موضوع الجسد واشتغاله في رواية (قفل قلبي) انكسارات سائدة على النص فهو مناخ تعبيري للإفصاح عن دوافع الشخصية وأفكارها، وتبعاً لذلك فإنَّ هذه الرواية صورة ذاتية منكسرة وممزقة بكل جوانبها، إذ جاءت معبَّرة لما تعانيه النفس من وطأة الأبعاد السيسيولوجية ومحملة بشحنات عاطفية في قوله: «على فراش داخل الغرفة ، كنا متمددين، هي قربي ،أنا مرتجف الأوصال ، كان الليل قد أدركنا، نلنا نوماً عميقاً..قلت :

– لم أنت تختلفين هذه المرة .

– أنا دائماً امتلك هذه الحرارة .

– لم أعهد فيك هذه الرغبة الحامية.

– أنتَ كنت مشغولاً بـ (هي).

– اليوم أثبت لي انَّك أشهى أنثى عشرتها ...

– ومضينا نحتفل ، مثلما كنت أحتفل ليالي الرنين ، عملنا عشاءنا تناولنا ما لذ وطاب من فواكه ... لم نعد نعرف كيف انقضى الليل . نبح الكلب ، نهق حمار ، صاح الديك ، عندما قامت ... توسلت :

– لم لم تبقين يا(بدرية)؟

– علي أن أذهب قبل أن يكشفوا أمرنا .

– أرجوك.. أبقي هنا .. لا أحد يسعدني سواك»[28] .

يتجسد من بنية النص حالة التماهي والامتزاج بين جسدين (حامد، الحفافة) وصولاً إلى حالة التوحد التام فلا وجود لأحد الجسدين إلا بالآخر، فالتداخل والاحتكاك والامتزاج الذي يصل إلى حد التلاقي الجنسي يساوي الحياة ؛ لأنَّه دخل الجسد في الدفقة السابقة مرحلة العشق الداخلي بوصفه «نقطة تفجر الرغبة في تكوين واقع جديد بعيد عن ذلك الواقع المنذر بالأفول الذي مارست معه كل ما استطاعت من تدبير»[29]، وبهذا يواصل الشاب عملية احتكاكه للجسد الأنثوي نتيجة رغبة تتضايق الحفافة – بدرية – وهي تتصارع بين مبدأ اللذة

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

وتحقيقها، والذات المتعالية بنشوتها العاطفية التي تأججها مشاعر الحرمان (أنا دائماً أمتلك هذه الحرارة).

ومن خلال معطيات الذات الذكورية التي تمنع الوجود كما أشارت المرأة، يعترف الشاب أنَّ وجوده يتحقق في ظل حضورها القادر على المنح والخصوبة والخروج (أرجوك ..ابقي ..هنا ..لا أحد يسعدني سواك)، وتتحول من الوعي والمعرفة إلى الممارسة، ويفاجئ الجسد ذاته من الخارج في أثناء ممارسته لوظيفة المعرفة يحاول أن يلمس نفسه لمساً فهو يرسم نوعاً من التأمل وسيكون هذا كافيا للتمييز بين الأشياء التي أستطيع القول: إنَّها تلمس جسدي عندما يكون عديم الحركة ، ولا يفاجئ الجسد ذاته في وضعيته الاستكشافية، ومع هذا فالجسد موضوع عاطفي بينما الأشياء الخارجية هي ما يتمثل لي فقط[30] ، ولكن المعرفة عند الشاب قد تجاوزت فعل اللمس الذي يؤكد وجود الأنا إلى مرحلة اختراق المطلق واحتواء يمكن الذات من اكتشاف طاقاتها ورغباتها الممتدة في التواصل مع الانت عبر تداخلية يقوم الجسد فيها بدور حيوي، وهنا تشير الفلسفة الفنومنولووجية إلى أنَّ « الجسد عند انسحابه من العالم الموضعي، سيمد الخيوط القصدية التي تربطه بمحيطه، وأخيراً ستكشف لنا عن الذات المدركة كما ستكشف لنا عن العلم المدرك»[31] ، ولهذا يبدو آيدولوجية الجسد في الرواية علامة بارزة تقف على مرمى نظر القارئ على امتداد البنية السردية، وبشكل يتخذ فيه هذا الجو دوراً مهماً في تحقيق التماسك الفني للسرد، فهو الممهد لموضوع البنية السردية، المرافق لأحداثها، المنبئ عن وقوع بعضها والمعمق لمغزاها .

وإلى جانب هذا هناك مشاهد أخرى في امتزاج آيدولوجية الجسد بين الشاب والحفافة لبنية النص الروائي، إلاّ أنّنا نجد مع هذا الامتزاج صراعات نفسية كبيرة من قبل الشاب، وهي متمثلة بعدم معرفة الشاب سبب وفاة المعشوقة (هي)، وهذا ممَّا اكتنز مشاعره ولواعجه لدرجة الجنون: «مشيتَ عبر مجازات البساتين، الحقول، بقدمين حافيتين، بأسمال النوم أحياناً، فيما بعد تذكرت حماقتي، تذكرت كيف خرج الناس ليلقوا نظره اشفاق على شاب (تخبل) هكذا سمعت من أفواه النساء ... عدت، وجدت (الأم) صامته ، تنحت عينها في بأسئلة فضائحية، قالت : ألهذه الدرجة كنت تحبها»[32].

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

إنَّ ورود مثل هذا الحوار النفساني يؤشر حالة الانطفاء والشعور بالضياع واللاجدوى لدى الشاب – حامد – سببتها تباريح الحب تجاه محبوبته – هي– فكل التوترات والارهاصات النفسية لدى الشاب لم تكف، فراح يبحث عنها في كل زقاق ، الأمر الذي أدَّى به إلى سقوطه في هاوية الملذات، وهذا ما نجده من خلال طلب الحفافة (بدرية) أن يتعرى لها، ويفعل بها مقابل معرفة أسباب موت العشيقة (هي)، لذا جاءت بنية النص لتفصح لنا انكسارين ذاتي وجسدي في آن واحد « لم تكن (الأم) في البيت ، خرجت لتتبضع ، كانت الساعة العاشرة صباحاً قبل يوم من ذهابي إلى الحرب همست في أذني :

– افعل ما آمرك به لتعرف سر موتها .

– سأنفذ ما تأمرين به ، لكن ليس قبل أن تبوحي بما عندك.

– حسناً ...

– وهل في كلامي شك .

– كلا ...

أجبرتني أن افعل ما أرادت ، كنت مريضاً ، يائساً ، لا إرادة لي ...»[33] .

إنَّ الصورة الشبقية في النص تكشف عن الذات المتمردة بكل قوتها وعنفها، ولهذا منح الجسد دوره عن عالمه المترقب الثائر المشتعل الذي يتوقد للخلاص، هذا فضلاً عن المخادعة والمراوغة وعدم الاستجابة للفاعلية من جانب الشاب في بادئ الأمر، إلّا أنَّ المرأة– بدرية الحفافة – تتوقد تطلعاً وترقباً وانتظاراً أو تهيئ أعضاءها لزمن الخصوبة، فلم يعد سوى ملهمها الشاب الذي تستشعر به في عالمها الغرائزي الدفء والحياة، ولهذا أباح الجسد بينهما بكل أسراره ومكنونه ولغته وعويل أعضائه وتحرقه وتهدمه وانكساره، ومن هنا يعدُّ الصوت الأنثوي (بدرية الحفافة) امتدادات الذات من الجسد إلى الذات، من الجسد إلى العالم الخارجي، يتداخل الجسد الداخلي ومع الجسد الخارجي «ذلك أن الجسد تمثيل حي للنص، يؤطر جسور العبور بين الداخل والخارج، ممَّا يعكس موضوعية الجسد بدلالاته المنفتحة على النص»[34]، فالسارد استطاع أن يصل إلى ما يصبو إليه، وذلك ببسط فكرة حرية الجسد الأنثوي في تصديه وانسلاخه من كل قيد، بأن جعلها تناضل للتحرر من ذلك

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

العيب بإسكات شهوة الجسد التي لا تتحقق إلاّ بالانفصال عن عالم الجسد المشتهى، والانضمام إلى شهوة الحياة.

فالكاتب قد نطق بالمسكوت عنه في ثقافة روضت نفسها على كتمان ذاتها، واعتمد في ذلك الوصف الجريء ليعري العناصر المكونة لمنظومة فكرية عبر مشاهد يطغي عليها صوت الذات، وبلاغة الجسد حين ينتشي بوجود الآخر والبحث عنه من خلال فعل النشوة «حيث تتحول اللغة إلى طاقاتها الشعرية الكامنة في الجسد السارد، الباحث عن الآخر»[35]، ليصبح صوت بدرية الحفافة سفر العوالم الباطنية التي تبحث عن الخلاص في الآخر ومعلناً عن أوجاعه وآلامه، فكل هذه الآلام والأوجاع سجلتها لغة النص الروائي؛ لأنَّ اللغة هي التي تفيض على جغرافيا الأمكنة، صانعة منها مستعمرة من الحروف والكلمات والجمل، تشع منها ويفوح عبق الأمكنة وشذاها المتشبث بالذاكرة والوجدان [36]، فاللغة جاءت معبرة عن المعاناة الذاتية والجسدية للشخصية الأنثوية، وما طرحت جسدها بوصفه أداة المعرفة والتعرف على الكائنات وحركة العالم، بل عن طريق الجسد تكشف وجودها الحيوي الفاعل وعن طريقه تأسست علاقتها بالآخر المعشوق الذي يؤكد وجودها عبر رغبات هذا الجسد وعالمه، وبهذا فالنص مستشرف عن الأنثى بأنَّها قد تخلصت من حالة الترقب والاستماع إلى مرحلة الفعل فأعلنت تخلص جسدها من الفتور والسكون وأصبحت مهيأة للارتقاء والتجاذب والتأسيس.

المبحث الرابع: حامد وحاجز الانكسار.

مثل هذه الشعلة الذاتية على مدار رواية (قفل قلبي) نجد شعلة أخرى أضاءت جانباً جديداً من حياة الشاب مع بنت الفلاح، إلاّ أنَّ هذه الشعلة على الرغم من شرعيتها لم تكتمل للأسف بعد فقدان الرجولة من قبل الشاب إثر الممارسات الجنسية للمحرمات، ومن هنا تبدو ظاهرة ثنائية الرغبة والحلم لدى الجسدين – الشاب وبنت الفلاح – المحمومين، وتطلعهما إلى التحقيق والفعل لم يحصل، فالشاب معبأ بالفرح والإحباط في آن واحد، كما أنَّه لا يختفي ولا يتَّضح لكنه مهيمن على نوافذ الحضور والاغتباط، فحاول أن يمارس سطوته الجسدية، ويتجلى احتشاده الذي يجلب الفرح، أمَّا البنت بوصفها الطرف الآخر في الجدلية

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

الجسدية فإنَّها كالآخر تسعى لتحقق الطموح والحلم الغرائزي من لدن الشاب، ومن خلال الطموح والاخفاق يسعى الجسد ويتشظى عطشه وجوعه وحاجته إلى التفجر والتحقيق والامتلاء داخل بنية المجتمع، ولذا فإنَّ « تصورات الجسد والمعارف التي تبلغها تخضع لحالة اجتماعية، ولرؤية العالم، محدد للشخص في داخل هذه الرؤية»[37] ،وبهذا جاءت المشاهد السردية لتصور حالة الشاب في اصابته بداء الفقدان: «مر أسبوعان، ونحن في القصر الكبير ،لم يحصل شي، كنت أحاول إسعادها، كانت تنظر بعين مستفهمة .. قالت لي أخيراً :

– أمي تسأل وتلح كثيراً .

– ماذا تريد ؟

– تريد أن تطمأن علي .

– علىِ ماذا تطمئن ؟

– أنتَ تعرف ماذا تطلب الأم من بنتها بعد ليلة الزفاف .

– قولي لها .. سيتم كل شي بخير ، أنا في طور العلاج النهائي .

– راجعت الطبيب المختص، دقق في أوراقي، ظل يغسلني بريبة جهنمية، قال: يجب أن تخضع لدورة علاج .

أنقضت الدورة، تلتها دورات، الصبية بدأت تشعر بشي مخيف يرتسم في صدرها، أنا بدأت أشعر أنني فائض عن الحياة»[38].

هنا تتأكد محاولة الفعل الذكوري إذ يهيمن الفقد على كل شيء، وتقف الذات أمام نفسها مصابة بالعقم، مكتشفة عجزها فجاء صوته صارخاً في الفضاء :

« أنا لست برجل .

ظلت فاتحة ثغرها، غير مصدقة ما تسمع .. أضفت :

– يجب أن تعودي إلى أهلك، اعلمي أمك بذلك»[39].

ونتيجة لهذا البرود والتجاهل فضلاً عن العجز الجنسي وصور القهر المتنوعة ، وضع الجسد على حافتين، حافة الموت وحافة الصراع النفسي اللذين اخترقا كيانه ومزقاه، ومن ثَم

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

ينتهي تاريخ حياته ويموت منتحراً مثلما انتحر همنغواي، ومايكوفسكي، وياسوناري كاوبوتا، وعشرات الأُدباء والفنانين الذين شعروا في لحظة يأس بعبثية الحياة ولا جدواها، لذا يختم الرواية بهذه الإرهاصات النفسية التي ولدتها العجز الجنسي:

« ألم ينتحر همنغواي ؟

ألم ينتحر مايكوفسكي ؟

ألم ينتحر يسينين ؟

ألم تنتحر فرجينا وولف ؟

ألم ينتحر خليل حاوي ؟

ألم ينتحر يوكيو ميشيما ؟

ألم ينتحر ياسوناري كاوبوتا ؟

لمَ لا ألحق بهم، سؤال ظل يلح، يغري، يغوي، يسحر،يمييييييييييييييت ،وداعاً يامعالجي، وَداعاً يا طبيبي، وداعاً، أيتها النظيفة.. وداعاً .. وداااااااااااااااااااااااا..»[40] .

إنَّ الوقفة المتأنية مع حيثيات هذا المشهد تكشف عن بؤرة اليأس والعجز في ذات الشاب، فنراه لا يتردد في وصف جسدانيته المطلة بكل أبعادها، وبهذا يظهر حاجز الانكسار بوصفه مؤشراً على حجم الممارسات المحرمة، ينضاف إلى هذا«إنَّ العزلة التي تعيشها هنا، هي نوع من الانسحاب إلى الداخل، بحيث تتضاءل وتتمركز في كينونة أنوية موحدة زمانياً ومكانياً »[41]؛ لذلك أعلنت الذات الهزيمة (أنا لست برجل)، إذ لم تعد قادرة على مواجهة الواقع، وبالتالي جاءت صرخاته مدوية عبر ثيمات الرواية، وهذا الصراخ المبني على المشاهد الحسية والنفسية المشبعة بالرؤية التجسيدية لا تقدمه السردية تقديماً مجرداً ، وإنما يتم تقديمه برغبة البوح الذي يكشف عما وراء النظر لا للتزين.

الخاتمة :

آن لنا أن نختم البحث بخاتمة يسيرة تلخص أبرز ما توصَّل إليه الباحث نتيجة بحثه الدؤوب في المظان، وتحليله لنصوص الرواية والغوص في أعماقها، إذ يمكن أن نختم القول على سبيل الإجمال والايجاز:

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

- إنَّ انكسار الذات هو الأساس في رسم الصورة للآخر في اللقطات المشهدية للرواية ، لاسيما أنَّ سرد الكاتب للأحداث كان واقعياً، إذْ جعلت هذه الرواية من نبش الذات الواقعي إحدى مغذيات السرد فيها، فاكتنزت بمحمولات تشرح ذات الشخصيات.
- يأخذ الجسد خلال لحظة سرده أبعاداً دلالية جديدة، إذ يخرج من أطر القوانين الطبيعية والوضعية ليخلق قوانينه الخاصة التي تخدم منطق السرد، والتي اعتمدها الكاتب كثيمة ليشحنها بدلالات الحرية.
- توزعت تجربة الروائي في روايته بين أحداث شخصية – الشخصيات – ظهرت بمستواها الذاتي أو العائلي، وبين أحداث سياسية كان شاهداً عليها، وبين أحداث اجتماعية كان مشاركاً فيها متتبعاً دقائقها وتفصيلاتها في نص الرواية.
- الجسد يشكل عالماً رحباً تشتبك الذات معه بوصفه موضوعاً لها منذ غلاف الرواية وحتى نهايتها، فتشير إلى تداخل الجسد القائم بين الجسد الذكوري والجسد الأنثوي في إطار جدلي اتضح أنَّ الجسد مضطرب ينحاز إلى الشعور بالاغتراب والسكون وعدم القدرة على التدفق والانغلاق، وأحياناً يتوق إلى الامتلاء، ورغبة التكوين والتوحد حين تمتد آلية جاذبية الجسد الأنثوي التي تتفجر فيه رغبات مكبوتة وطاقات فاعلة.
- الرواية تكشف عن حالة لعملية الاستلاب الجسدي وكيانه وما ينعكس على ذلك من معوقات نفسية للذات الأنثوية،ليدخل بوتقة الاضمحلال في الآخر تحت ظلال الشبقية والشهوانية، إذ إن جسداً أعلن بحثه عن وجوده في الآخر والذي يعد مشروعه الأول والأخير ليكشف فيه عنفوانه ويتحرر به من كل القيود.
- عكست لغة الجسد رؤية الكاتب المنبثة وفق سياقات ثقافية، وأخرى تخلقها الذات وفق منظوراتها تعضد خطاب الهوية الذي سعى السارد إلى بثه.
- إيغال الكاتب في التفاعل مع جو روايته وتهيئة النفس للتعبير عن الخلجات وما يدور في النفوس.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

الهوامـــش :

1) خطاب الجسد في شعر الحداثة قراءة في شعر الستينات، د. عبد الناصر هلال: 180.

2) هكذا تكلم النص، د. محمد عبد المطلب :33.

3) المصدر نفسه : 218.

4) أفضية الذات قراءة في اتجاهات السرد القصصي، سيد الوكيل: 166.

5) رواية قفل قلبي، تحسين كرمياني:35.

6) ميثولوجيا القراءة ، الموقف الأدبي، إبراهيم المحمود:90.

7) رواية قفل قلبي :40.

8) المصدر نفسه: 42.

9) المصدر نفسه:62-63.

10) عوالم السرد (متخيل القصة والرواية بين المغرب والمشرق)، نجيب العوفي:100.

11) رواية قفل قلبي:41- 42.

12) مناورات الشعرية ، د. محمد عبد المطلب:25.

13) رواية قفل قلبي:128-129.

14) المصدر نفسه:176.

15) المصدر نفسه: 203.

16) مبادى علم النفس، د. يوسف مراد:370.

17) رواية قفل قلبي : 192.

18) الجسد والمجتمع استكشافات في النظرية الاجتماعية ، احمد زايد (بحث) :10.

19) خبرات الجسد الحميمة في الكتابة الأدبية ، علاء عبد الهادي ،(بحث):189.

20) الحداثة، السلطة، النص، كمال أبو ديب (بحث) : 61.

21) رواية قفل قلبي: 195-196.

22) المصدر نفسه :169.

23) ينظر : بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصية، حسن بحراوي : 32.

24) انثروبولوجيا الجسد والحداثة ، دافيد لوبروتون : 123.

25) رواية قفل قلبي : 208.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333

26) الجسد، هشام حاجي : 8.

27) ينظر: لغة الجسد في رواية رمل الماية ، واسيني الأعرج، سعيد بوسقطة:98.

28) رواية قفل قلبي : 226-227.

29) هكذا تكلم النص : 140.

30) ينظر: الجسد الإنساني بين مدارس الفلسفة وفنومنولوجية ميرلوبوحي (بحث)، د. مجدي عبد الحافظ: 107.

31) المصدر نفسه:110.

32) رواية قفل قلبي: 187.

33) المصدر نفسه: 188-189.

34) سرد الجسد وغواية اللغة، قراءة في حركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى، د. الأخضر بن السايح:72.

35) المصدر نفسه: 77.

36) ينظر: المصدر نفسه:258.

37) انثروبولوجيا الجسد والحداثة : 11.

38) رواية قفل قلبي :261-262.

39) المصدر نفسه : 262.

40) المصدر نفسه : 262.

41) يتم النص، الجينيالوجيا الضائعة: احمد يوسف:183.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1333